المحاضرة الثانية عشرة: مباحث الأدب المقارن، الأدب و القصة و الفلسفية

الأدب والقصة والفلسفة يشكلون ثالوثا مترابطا في تاريخ الفكر الإنساني، حيث تكون القصة الجسر الذي يربط بين الخيال الأدبي والتأمل الفلسفي العميق، محولا الأفكار المجردة إلى تجارب حية تؤثر في الوعي والسلوك الإنساني. يستمد الأدب من الفلسفة عمقا فكريا وأبعادا وجودية، بينما تحول القصة الفلسفة إلى سرد مشوق يجعلها متاحة للعامة، كما في التراث العربي والغربي الذي يعج بأمثلة تجسد هذا التضايف منذ العصور القديمة وحتى ما بعد الحداثة.

01- تعريف الأدب والقصة والفلسفة وأسسها النظرية

يعرف الأدب كفن التعبير الخيالي عن التجربة الإنسانية عبر اللغة الشعرية أو السردية، يهدف إلى إثارة العاطفة والتأمل والمتعة الجمالية. أما القصة فهي نوع أدبي سردي قصير أو طويل يركز على حدث مركزي أو شخصية رئيسية، يبني توترا دراميا ليصل إلى ذروة ثم حل، وغالبا ما تحمل عبرة أخلاقية أو فلسفية ضمنية. والفلسفة هي بحث عقلي منهجي عن أسئلة جوهرية مثل الوجود والمعرفة والأخلاق والجمال، تعتمد على الحجة المنطقية والتأمل النقدي.

في الفلسفة اليونانية، ميز أفلاطون في "الجمهورية" بين الأدب كمحاكاة للواقع المحسوس (نسخة عن نسخة عن الأصل الحقيقي)، فأدانه لابتعاده عن عالم المثل، لكنه استخدم القصص الأسطورية مثل أسطورة إر أو كهف الظلال لتوضيح أفكاره. أعاد أرسطو في "فن الشعر" تأكيد قيمة الأدب، معتبرا القصة (mythos) أهم عناصر الدراما لأنها تحاكي الفعل الإنساني الكامل، وتؤدي إلى كاثارسيس أي تطهير العواطف بالشفقة والخوف. في التراث العربي، اندمجت هذه العناصر في "رسائل إخوان الصفاء" التي جمعت بين الفلسفة النيوأفلاطونية والقصص الرمزية، وفي "حي بن يقظان" لابن طفيل الذي صب فلسفته في قالب قصصي.

02- التضايف التاريخي بين الفلسفة والأدب عبر القصة

شهدت العلاقة تطورا تاريخيا طويلا. في العصور القديمة، اعتبر أرسطو الأدب خادما للفلسفة (ancilla philosophiae)، يوضح أفكارها عبر الصور الحية. في العصور الوسطى العربية، استخدم الفلاسفة القصة لتفادي الرقابة الدينية؛ فابن سينا في "رسالة الطير" صور الروح كطائر يبحث عن مصدره، وابن طفيل في "حي بن يقظان" روى

قصة طفل ينبثق على جزيرة ويتعلم الفلسفة من الطبيعة وحدها، ليثبت أن العقل يصل إلى الله دون شرع أو معلم بشري، مما يجمع بين التوفيق العقلي والكشف الصوفي.[3]

مع عصر النهضة، امتزجت القصة بالفلسفة في أعمال فرانسيس بيكون مثل "نيو أتلانتيس"، رواية خيالية تصور مجتمعا مثاليا مبنيا على العلم. في القرن التاسع عشر، جمع فريدريك نيتشه بينهما في "هكذا تكلم زرادشت" (1883–1885)، حيث يصبح الفيلسوف زرادشت بطلا قصصيا يهبط من الجبل ليعلم البشرية فكرة الإنسان الأعلى (Übermensch)، محولا الفلسفة إلى شعر درامي ينتقد الأخلاق المسيحية والدين التقليدي. في الأدب العربي الحديث، استلهم جبران خليل جبران في "النبي" (1923) هذا النمط، رواية نبي يخطب في مواضيع الحياة والحب والموت بأسلوب شعري فلسفي.

في القرن العشرين، برزت روايات ألبير كامو مثل "الغريب" (1942) كفلسفة وجودية سردية، حيث يجسد ميرسو اللامعنى والغربة الإنسانية، وفي العربي نجيب محفوظ في "الثلاثية" أو "الحرافيش" حيث تتجسد فلسفة الاجتماع والقدر في قصص شعبية. أما ما

بعد الحداثة، فتفكك الحدود بينهما كما عند جاك دريدا وميشيل فوكو، حيث تعيد القصة تشكيل الواقع عبر السرد المتشظي.

03- دور القصة كوسيطة فلسفية في الأدب

تحول القصة الفلسفة من مجردات جافة إلى تجربة حسية وعاطفية، تجسد الأفكار في شخصيات وأحداث، مما يجعلها أداة تعليمية فعالة. في التراث العربي، تظهر ذلك في قصص "كليلة ودمنة" لابن المقفع (القرن الثامن)، حيث تُغلف الحكمة الهندية–فارسية في حيوانات تتصرف بأخلاق بشرية، تناقش السياسة والخيانة والحكمة. كما في قصص "ألف ليلة وليلة" التي تحمل فلسفة القدر والحب والموت ضمن سردات متداخلة.

في الأدب الغربي الحديث، استخدم فرانز كافكا في "المحاكمة" (1925) القصة لاستكشاف الاغتراب البيروقراطي، وجورج أورويل في "1984" (1949) لنقد الشمولية عبر سيناريو ديستوبي. في العربي المعاصر، يفعل أحلام مستغانمي في "فوضى الحواس" أو واسيني الأعرج في رواياته، حيث تُصبح القصة مرآة لفلسفة

الهوية والاستعمار. هكذا، تُضفي القصة على الفلسفة جاذبية جمالية، وتُثري الأدب بعمق فكري.

04- أمثلة تطبيقية مقارنة من التراث العربي والغربي

ابن طفيل: حي بن يقظان (القرن 12)

قصة رجل ينمو على جزيرة نائية، يتعلم العلوم من الطبيعة، يصل إلى معرفة الله عبر العقل، ثم يلتقي بشر يفضلون الخرافات. تثبت أن الفلسفة متاحة للعقل السليم دون وحي، وأثرت في جون لوك ودانتي.

نيتشه: هكذا تكلم زرادشت (1883)

سرد نبي يدعو إلى تجاوز الإنسان الحالي نحو الأعلى، يمزج الشعر والحوار الفلسفي لنقد النيتشوية المسيحية والديمقراطية.

جبران: النبي (1923)

نبي يودع قومه بخطب فلسفية في 26 موضوعا، يجمع الشرقي بالغربي في تأملات عن الحرية والألم.[1]

محفوظ: الحرافيش (1977)

قصة عشرة أجيال في حارة القاهرة، تجسد فلسفة الفقر والقوة والعدالة الاجتماعية عبر سرد ملحمي.

كامو: الطاعون (1947)

وباء يرمز للشر الإنساني، يستكشف المقاومة الوجودية والصداقة.

المصادر والمراجع:

- تمازج الفكري والجمالي بين الفلسفة والأدب كحول شعبان . مومني السعيد https://asjp.cerist.dz/en/article/224007
- التضايف بين الفلسفة والأدب من فلسفة الأدب إلى أدب الفلسفة سنوسي فضيلة https://asjp.cerist.dz/en/article/212905